

المبدأ 15

لا تجعل نفسك أسيراً «كرمي»، أناس معينين

المغزى:

إذا سمحت للناس أن يشعروا بأنهم يملكونك ستفقد كل سلطة عليهم، في حين إذا أردت أن تكون قوياً بذاتك ومواقفك فلا تلزم عواطفك بشيء تجعل الناس يحاولون من خلالها كسبك إلى جانبهم، وحينما تفعل ذلك بصدق لا تكون فقط سيد نفسك وإنما سيد الآخرين، حيث يدفعهم تحريك لأن يحترموك وقد يتبعونك لأنك لم تجارِ أحداً وأبقيت نفسك بعيداً عن تناول قبضة الأطراف. أن تكون «التيار الثالث» ليس سهلاً إنما هو لعبة مهمة لمن يحسن إدارتها، فعندما تجد نفسك - مثلاً - بين قوى متنافسة حاول أن تجتنب طرفاً بوعودك له بالمساعدة، وبعدها سوف يحاول الطرف المناوئ أن يستميلك إلى جانبه بكسب اهتمامك وتحقيق رغباتك، وهنا تبدو على

الفور شخصاً ذا نفوذ عظيم ومرغوب فيه، وستكتسب سلطة أكثر مما لو التزمت طرفاً معيناً. تذكر أن وقوفك على الحياد لا يعني الابتعاد عن الناس غير مبال بما يدور أو أنك غير مهتم بقضايا معينة، بقدر ما يعني «دبلوماسية الانحناء مع الريح» التي تقضي بأن تتحني حيث تقضي ظروف الانحناء، ولكن بالطبع ليس أكثر من اللازم.

المثال

كاميليا فتاة في الخامسة والعشرين من العمر، نشأت في أسرة متحررة، بعد تخرجها من الجامعة توظفت في إحدى الشركات الخاصة، لتتعرف خلال عملها على زميل فتبادلا مشاعر الود والإعجاب حتى وصل بهما الأمر إلى إقامة علاقة جنسية على أمل الارتباط قريباً، إلا أنه بدأ يتهرب من فكرة الزواج بها، فلم يفاتحها به بناء على العلاقة القائمة بينهما حسبما كانت تتصور، حتى فوجئت بزواجه من ابنة خاله وقطع علاقته بها، على إثر ذلك عاشت كاميليا في صدمة عاطفية لكنها تجاوزتها مع الوقت في انهماكها بالعمل والانصراف إلى شؤون حياتها الخاصة إلى أن تقدم إليها أحد أقاربها فساورها قلق غريب من افتضاح أمر علاقتها السابقة وما ترتب عليها من افتقار للمعذرية.. وجدت نفسها أمام خيارات الرفض للزواج آنياً وخيارات القبول حيث في أعماقها أمنية الارتباط.. وأخذت تعيش أياماً من الحيرة والقلق أفقدها النوم

وباتت تتناول الأقراص المهدئة بناء على وصفة طبيب، وعندما يدعوها خليبها للخروج تختلق الأعذار.. بعد الزواج من قريبها ظنت بأنه ستتهي حالة الأرق الذي يساورها من التجارب السابقة في حياتها العاطفية لكن يبدو أن الزواج لم يحلّ دون حالات بكاء وصمت مطبق ولامبالاة بالحياة الزوجية حتى بدأ زوجها يضيق ذرعاً من هذا الحال واقترح عليها زيارة طبيب نفسي..

إن ما يؤرق مضجع كاميليا هو عدم نسيان الخبرات غير السارة في الأيام السابقة على زواجها مما انعكس ذلك سلباً على استقرارها النفسي والأسري، فهي أعطت كل حبتها لذاك الزميل، وإذا به يسفّه هذه العلاقة باعتبارها لهو آني، جعلت نفسها أسيرة علاقة حب صادقة فإذا بها مغايرة عما كانت تتوقع.. فوجدت نفسها وحيدة لا يمكنها أن تخير أحداً خوفاً من لومها واحتقارها، وكي لا تبدو وكأنها إنسان ضعيف استغل (وضحك عليه)، وبكبتها لكل هذه المشاعر كانت النتيجة حالة أرق متواصل يزعجها بين العين والآخر.. لهذا نعتبر أن جزءاً من ذلك الماضي لم تدفنه كاميليا حقيقةً لأنه لا زال حياً فهو يقلقها، بينما كان الأجدى بها أن تمحوه كلياً وتتطلق إلى حياة أخرى قوامها الصراحة، كان عليها أن تواجه الموقف بكل جرأة لا أن تستكين وتبقى «رهينة» ماضٍ بشع، تنساه عبر أقراص منومة تارة، وبالتهرّب من الاستمتاع باللحظات الحلوة في الحياة تارة أخرى.. أن تكون متحرراً من كل موقف

تابع هو البداية لإثبات شخصيتك الحقيقية.. ولا يتم ذلك إلا إذا تغلبنا على الصدمات، وتعاملنا مع المواقف بكل جرأة.. وتكيفنا مع واقع حياتنا لما يريد الآن وليس لما يريد الأمس.

■ الملخص:

كل التزام تقدمه قد يؤدي إلى التزام أكبر تجاهك، لأن الالتزام والتعهدات تدبير من الشخص الآخر كي يجتذبك إلى جانبه ويطويك تحت جناحه، لهذا يعتبر عدم التورط في اشتباك هو عمل أشجع من الفوز في المعركة، لأنه حيث يوجد متدخل يوجد أحق، فاحرص على ألا تكون أحدهما.

■ المرادف:

■ يستفيد الضعيف من مشاجرات الأقوياء.

(حكمة هندية)

■ يولد الإنسان حراً ولكن في كل مكان يجبر سلاسل الاستعباد.

(جان جاك روسو)

■ إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت، لا يستحقون لا

الحرية ولا الأمان.

(بنيامين فرانكلين)

